

ورقة مقدمة من

أ.د/ صفاء الأعر

أستاذ علم النفس كلية البنات - جامعة عين شمس

لقضية الرؤيا

- ننتقل في مناقشتنا لقضية الرؤيا من مسلمة ذات أساس علمي ومصداقية واقعية، وهي: حق الطفل في علاقة حميمة بالوالدين وهذا يعني أن النظام الذي يقضي بإقامة الطفل مع أحد الوالدين كحاضن ويحدد ويقيد الزمان والمكان للقاء الوالد الآخر، نظام يحرم الطفل من حقه الإنساني.
- تستمد هذه المسلمة مصداقيتها من النظريات والبحوث العلمية في مجال النمو النفسي والعصبي للطفل، حيث تؤكد النتائج التي توصلت إليها من المقارنة بين أطفال من أسر مستقره وأطفال يعيشون في حضانة أحد الوالدين، أن الأطفال الذين يعيشون في حضانة أحد الوالدين يعانون من مشكلات في النمو العقلي والتحصيل الدراسي، ومشكلات في التوافق الشخصي كالحزن والانطواء وضعف الثقة بالنفس وفي التوافق الاجتماعي كالعدوان والاعترا ب وغيرها.
- وفي عجالة يفسر العلماء هذه النتائج بأن الطفل يحتاج إلي بيئة آمنة حتى تنمو طاقاته وإمكاناته في مساراتها الإيجابية كالتحصيل الدراسي، والهوايات والرياضة واستكشاف البيئة... الخ، ولكن الطفل الذي يعيش في بيئة يسودها النزاع بل ويكون هو مركز النزاع، في هذه البيئة يتعرض الطفل لمواقف يفرضها عليه الوالدان، مواقف يسودها العداء والاتهام، وبالتالي تتصرف طاقة الطفل العقلية والوجدانية والاجتماعية بعيدا عن المسارات الإيجابية النمائية لتتجه إلي محاولاته لمواجهة مواقف النزاع المتجددة.
- في بيئة يسودها النزاع ويغيب عنها التعاون أو التفاوض أو التسامح، هذه البيئة تصبح نموذجا وأسلوب لحل الخلاف بالنسبة للطفل وهو الأسلوب الذي يستخدمه خارج المنزل في علاقاته مع زملائه وأصدقائه، سواء أخذ دور المعتدي أو دور المنهزم، وفي كل الأحوال تضطرب علاقاته الاجتماعية وتظهر مشكلات في التوافق الاجتماعي.
- في هذه المرحلة يتكون لدى الطفل مفهومه عن نفسه أو صورته عن نفسه، وأهم عامل في هذه الصورة هي صورة الطفل عن والديه، فالأغلب أن تكون النموذج الذي يجتذبه الطفل في صورته عن نفسه، في مواقف النزاع يؤكد كل طرف على سلبيات الطرف الآخر،

- وتكون النتيجة أن يرى الطفل أسوأ ما في الوالدين، وعلى هذا النموذج السلبي يتكون مفهومة عن نفسه، ويكون مصدراً لمشكلات التوافق الشخصي.
- أن اعتقاد الوالدين أن ما يخصم من رصيد أحدهما في حب الطفل يضاف لرصيد الآخر اعتقاد خاطئ تماماً، فالحب يؤدي لمزيد من الحب.
- أن استخدام أو سوء استخدام الوالدين للطفل، كأداة ضغط على الآخر، أو انتقام من الآخر هي إساءة للطفل وليس للوالد وهذا ما لا يدركه الوالدين لما لديهما من مشاعر الغضب، وغياب الحقائق العلمية.
- على ضوء ما تقدم نطرح نموذج إيجابي ندعو إلى تكاتف الجهود حتى يصبح النموذج السائد وهو نموذج "المشاركة في الرعاية" Shared Custody أو Go Parenting وتعني أن يتولى أحد الوالدين حضانة الطفل ويشارك الآخر كل مواقف حياته بما يسمح للطفل بإقامة علاقة صحيحة مع الوالدين. وإذا كان هذا النموذج قابل للتنفيذ في بعض الأسر بأسلوب ودي ودون تدخل القضاء فكيف يمكن أن تتكامل جهود الجهات المعنية المختلفة لصبح النموذج السائد.
- لقد تأكدت قيمة هذا النموذج في البحوث العلمية التي تناولت المقارنة بين ثلاث مجموعات من الأطفال الأولى تعيش في أسر مستقرة، والثانية تعيش مع الحاضن والثالثة تعيش في الرعاية المشتركة، وتبين أن نظام الرعاية المشتركة أقرب ما يكون إلي الأسر المستقرة، فالعامل الأساسي في الاضطراب كما ذكرنا هو التنازع.

الخلاصة:

كيف يمكن أن تتكامل جهود الجهات المعنية المختلفة:

(١) الشرع.

(٢) القانون.

(٣) محكمة الأسرة.

(٤) الطب النفسي وعلم النفس.

(٥) الإعلام

وأن تسهم كل في مجال اختصاصه بما ينمي الوعي ويعدل الاتجاهات بحيث يصبح حق الطفل في علاقة حميمة بوالديه.